71

والالف واللام في قوله تعالى في الفلك للتعريف اي فلك نوح وهو
مذكور في قوله تعالى واصنع الفلك باعيننا وهو معلوم عند
العرب ثم وصف الفلك بقوله تعالى المشحون اي المموقر المملو
حيوانا وزادا وهو يتقلب في تلك المياه التي لم ير احد قط مثلها
ولا يرى ايضا ومع ذلك فنجاها الله تعالى وابقاها لان الادمي
يرسب في الماء ويغرق فحمله في الفلك وقع بقدرة الله تعالى
لكن من الطبيعيين من يقول الخفيف لا يرسب لانه يطلب
جهة فوق فقال الفلك المشحون اثقل من الاثقال التي ترسب
ومع هذا حمل الله الانسان فيه مع ثقله وقال اكثر المفسرين
ان الذرية لا تطلق الا على الولد وعلى هذا فالمراد اما ان يكون
الفلك المعين الذي كان لنوح واما ان يكون المراد الجنس
كقوله تعالى وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون وقوله
تعالى منه وترى الفلك فيه مواخر وقوله تعالى فاذا ركبوا
في الفلك الى غير ذلك من استعمال لام التعريف في الفلك
لبيان الجنس فان كان المراد سفينة نوح ففيه وجوه الاول
ان المراد حملنا اولادهم الى يوم القيمة في ذلك الفلك ولولا
ذلك ما بقي للاب نسل ولا عقب وعلى هذا فقوله تعالى
حملنا ذريتهم اشارة الى كمال النعمة اي لم تكن النعمة مقتصرة
عليكم بل متعدية الى اعقابكم الى يوم القيمة وهذا قول الزمخشري
قال ابن عادل ويحتمل ان يقال انه تعالى انما خص الذرية بالذكر
لان الموجودين كانوا كفارا لا فائدة في وجودهم فقال تعالى
حملنا ذريتهم اي لم يكن الحمل حملا لهم وانما كان حملا لما في اصلابهم
من المؤمنين كمن حمل صندوقا لا قيمة له وفيه جواهر فانه
انه لم

انه لم يحمل الصندوق وانما حمل ما فيه ثانيها ان المراد بالذرية الجنس
اي حملنا اجناسهم لان ذلك الحيوان من جنسهم ونوعهم والذرية
تطلق على الجنس ولذلك تطلق على النساء لنهي النبي صلى الله عليه
وسلم عن قتل الذراري اي النساء لان المراة وان كانت صنفا
غير صنف الرجل لكنها من جنسه ونوعه يقال ذرارينا اي امثالنا
ثالثها ان الضمير في قوله تعالى واية لهم الليل وفي قوله واية لهم
انا حملنا ذريتهم واذا علم هذا فكانه تعالى قال واية للعباد انا
حملنا ذرية العباد ولا يلزم ان يكون المراد بالضمير في الموضعين
اشخاصا معينين كقوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم ويذيق بعضكم
باس بعض ولذلك اذا تقاتل قوم ومات الكل في القتال
يقال لهؤلاء القوم هم قتلوا انفسهم فهم في الموضعين يكون عائدا
الى القوم ولا يكون المراد اشخاصا معينين بل المراد ان بعضهم قتل
بعضهم فكذلك قوله تعالى اية لهم اي اية لكل بعض منهم انا حملنا
ذرية كل بعض منهم او ذرية بعض منهم وان قلنا المراد جنس الفلك
قال ابن عادل وهو الاظهر لان سفينة نوح لم تكن بحضرتهم ولم
يعلموا من حمل فيها فاما جنس الفلك فانه ظاهر لكل احد وقوله تعالى
في سفينة نوح وجعلناها اية للعالمين اي بوجود جنسها ومثلها
ويؤيده قوله تعالى الم تر ان الفلك تجري في البحر بنعمة الله ليريكم
من اياته ان في ذلك لايات لكل صبار شكور فان قيل ما الحكمة
في قوله تعالى واية لهم الارض واية لهم الليل ولم يقل واية لهم
الفلك اجيب بان حملهم في الفلك هو العجيب اما نفس الفلك فليس
بعجيب لانه كبيت مبني من خشب واما نفس الارض فعجيب ونفس
الليل فعجيب لا قدرة لاحد عليهما الا الله فان قيل قال تعالى

Copyright © King Saud University